4

لطافة التعبير في الدالِّ على الجماع والعورة

في نهج البلاغة (دراسة دلاليّة)

أ.د. فاخر هاشم سعد الياسريّ

م.م. علي صادق جعفر

جامعة البصرة

كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة/قسم اللغة العربيَّة

المستخلص:

ثمّة علاقة بين اللغة والمجتمع ، فلا نرى وجود اللغة بغير مجتمع إنسانيّ، وما يكون عليه الناس من أدب وحياء في علاقاتهم مع بعضهم، وأمور حياتهم، وأسلوب تفهُّمهم، نجد صداه في مفردات لغتهم وتراكيبها، فبعض المفردات والتراكيب تتعلَّق باللياقة الاجتماعيَّة والعُرف الاجتماعي والذوق الرفيع، فذكرها يزيل الحياء ، ويسبّب الحرج، ويمسّ أدب المخاطِب وخُلقه، خاصة ذكر الأمور المتعلّقة بالجماع والعورة، فكانت لطافة التعبير السلوك الذي أُتبع؛ لتجنَّب ذلك، وتُحقَّق اللياقة الاجتماعيَّة ونحفظ الحياء والأدب الرفيعين، فمُجَّت بعض المفردات الصريحة والتراكيب المباشرة الخاصَّة بالتعبير عن تلك الأمور، مستعاضًا عنها بمفردات وتراكيب كانت غير مباشرة وأقلّ منها صراحة، ومن هنا كان البُعد الاجتماعيُّ أحد الأسباب الداعية إلى لطافة التعبير.

الكلمات المفتاحية: لطافة التعبير – المجاز – الكناية– الاستعارة– البُعد الاجتماعيّ.

Keywords: subtlety of expression - metaphor - metaphor - metaphor - social dimension.

Abstract

There is a relationship between language and society, so we do not see the existence of language without a human society, and the literature and modesty that people have in their relationships with each other, the things of their lives, and the way they understand ،We find resonance in the vocabulary of their language and its structures. Some vocabulary and structures relate to social fitness, social custom and fine taste. Remembering it removes modesty, causes embarrassment, and touches the literature and creativity of speech, especially mentioning matters related to intercourse and ruggedness ،The kindness of the expression was the behavior that was followed; To avoid this, social fitness is achieved and we preserve high modesty and literature, so some explicit vocabulary and direct structures for expressing these matters are blended ،Replaced by vocabulary and structures that were indirect and less explicit, hence the social dimension was one of the reasons for the kindness of expression.

المقدمة

تنشأ اللغة وتترعرع في أحضان المجتمع، فكانت إحدى الظواهر الاجتماعيَّة، يمارسها أفراد المجتمع، فهي ((أصوات يعبِّر بهم كلُّ قوم عن أغراضهم))[1]، شكَّلت الركن الأساس من التراث

الثقافيِّ البشريِّ، ونتاجًا جماعيًّا، له القدرة على توصيل الأفكار والمعاني والخبرات والعادات والتقاليد، لا من إنسان إلى إنسان فحسب، بل من جيل إلى جيل، ومن قرن إلى قرن[2].

والعلاقة بين اللغة والمجتمع أشدُّ ترابطًا وتآخيًا، فلا نرى وجود اللغة بغير مجتمع إنسانيٍّ، ووجود مجتمع بغير لغة تواصل بين أفراده. وما يكون عليه الناس من أدب وحشمة وحياء، في علاقاتهم مع بعضهم البعض، وأمور حياتهم، وأسلوب تفهُّمهم، يُشاهد صداه في مفردات لغتهم وتراكيبها[3]، فبعضها تتعلَّق باللياقة الاجتماعيَّة وما يفرضه العُرف الاجتماعي والذوق الرفيع الطاهر، وذكرها يزيل الحياء والحشمة والعفة مسبِّبًا الحرج، ماسًّا أدب المخاطِب وخُلقه، فكانت لطافة التعبير، هي السلوك الذي أُتبع؛ لتجنُّب ذلك، وتُحقَّق اللياقة الاجتماعيَّة ونحفظ الحياء السامي والأدب الرفيع، فمُجَّت بعض المفردات الصريحة والتراكيب المباشرة الخاصَّة بالتعبير عن بعض الأمور، مستعاضًا عنها تراكيب كانت غير مباشرة وأقلّ منها صراحة، ومن هنا كان البُعد الاجتماعيُّ هو أحد الأسباب الداعية إلى لطافة التعبير[4].

ومن تلك الأمور التي سُلكت فيها لطافة التعبير، هي كالتعبير عن الأمور الخاصَّة بين الرجل والمرأة، كالجماع، وما يتعلَّق بكشف العورة، وهذا المجال هو أكبر المجالات الاجتماعيَّة التي يلجأ فيها المتكلِّم إلى استعمال لطافة التعبير[5]. وكانت العلاقة الاجتماعيَّة بينها وبين الرجل من الأمور الداعية إلى اللطافة، وهذا جليٌّ في كتاب الله الحكيم، حين استعمل لطافة التعبير، فكنَّى لطافة عن الجماع بالملامسة والإفضاء والإتيان والرفث والمباشرة[6].

والإمام (عليه السلام) لم يكن بمنأى عن مجتمعه وبيئته، إذ نأى (عليه السلام) عن مفردات تزيل ستار العفة والحشمة واللياقة الاجتماعيَّة، والذوق الاجتماعيِّ؛ لأنَّ التلفُّظ بالسخيف والفاحش يكشفان قلَّة حياء المتكلِّم ودناءته وسفاهته، في حين يعكس التلفُّظ بالعفة والحشمة، أدب المتكلِّم، وتمكُّنه من سعة باع العربيَّة ومرونة أساليبها التعبيريَّة[7]، فالأدب والتمكُّن من العربيَّة وفنونها كأنَّهما تمثَّلا فيه (عليه السلام)، وحطَّا الرحال عنده، لذلك نجد أنَّ الإمام (عليه السلام) استعمل (عليه السلام) في نهج البلاغة مفردات وتراكيب عبَّرت عن العورة والجماع على سبيل لطافة التعبير، وهذا ما سنسلط الضوء عليه في القسمين الآتيين:

القسم الأوَّل: المفردات:

اختار الإمام (عليه السلام) مفردات من باب لطافة التعبير، معبِّرًا بها عن مفردات الجماع والعورة وما يتَّصل بهما، ومن هذه المفردات هي:

1- **السه:** هي ((العَجُزُ، أو حَلْقَةُ الدُّبُرِ))[8]، وأصلها (سته) على زنة (فَعَل)، ثم حُذفت عينها فصارت (سه)[9].

واهتمامًا بالأثر الاجتماعيّ الناجم عن استعمال مفردة (الدبر) صراحة، خصَّ (عليه السلام) لطافة التعبير بتلك المفردة البديلة في قوله (عليه السلام): ((**الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ**))[10]، ففي هذه الحكمة القصيرة نجد مفردة (السه)، التي نأى بها(عليه السلام) عن مفردة (الدبر) أو (الفرج) صراحة[11]، التي لها وقعها الاجتماعيُّ؛ لأنَّ مفردة (الدبر) تسلب الحياء محدثة الحرج، لهذا قصد الإمام تلك المفردة تأدُّبًا وحشمة، فالمفردة أصلها (الستة)، لكنَّ الإمام استعمل الحذف، فحذف عينها وهي التاء[12]، فصارت(السه).

إنَّ أصل هذا الكلام هو من كلام النبيّ محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، حكاه الإمام علي (عليه السلام)، فأوردها الرضي في نهج البلاغة في الحكم القصار، والمناسبة التي ورد فيها هذا الكلام هو أنَّ رجلًا غلب عليه النوم في مسجد رسول الله، فنام فخرجت منه ريح، فضحك الحاضرون، فلم يرضَ الرسول عمَّا بدر منهم، فقال عند ذلك هذا الكلام[13]. ويوحي ذكره تأكيد ما قاله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وتوضيحه للناس.

إنَّ هذا الكلام هو من الاستعارات اللطيفة التي ذكرت في الكتب، فذكر (السه) بحذف عينها؛ لأنَّ أصلها (الستة)، وهو مخرج الإنسان، دليل على حشمة قائلها وأدبه وكياسته التي نأى عن ذكر المخرج صراحة، علاوة على حذف حرف منها؛ ليصلها إلى أعلى مرتبة في التأدُّب والحشمة والكياسة.

إنَّ صوتي تلك المفردة (السين والهاء) من الأصوات المهموسة[14] المتَّصفة بالخفاء، جعلا جرسها هادئًا ناعمًا رقيقًا على مسامع المخاطبين، مصحوبًا بصدًى إيحائي انسجم مع معنى وجوب ستر عورة الدبر، وإخفائها بلبس الثياب، وإبعادها عن الأنظار في أثناء قضاء الحاجة، وما يتعلَّق بصونها وحفظها عن مشاهدة الآخرين.

إنَّ مفردة (العين) دليل على يقظة الإنسان ونومه، فانفتاحها إشارة إلى يقظة صاحبها، وتنبو عن كونه منتبهًا محترسًا، وغلقها إشارة إلى نوم صاحبها وغفلته وعدم انتباهه، لهذا أوردها الإمام (عليه السلام) معرفة؛ لأن المخاطبين مدركون حقيقة دلالة العين على يقظة صاحبها، أو نومه.

أمَّا مفردة (الوكاء) فهو رباط القربة الذي يحفظ ماءها، لذا استعار الإمام تلك المفردة؛ ليوصل المعنى، ويعبِّر بها عن حفظ الدبر وصيانته من خروج الريح، مشبهًا (السه) بالقربة، فكما رباط القربة يحفظ ما في القربة كذلك العين، فيقظتها دليل على انتباه صاحبها، و((الإنسان إذا كَانَ منتبّهًا علم مَا يخرج مِنْهُ من الرّيح))[15]، وفي ذلك حقيقة بأنَّ العين ((تحفظ الإنسان وتحرسه من بين يديه ومن خلفه))[16].

إنَّ الجملة مكوَّنة من المبتدأ (العين) والخبر (وكاء)، فهي جملة اسميَّة أثبتت حقيقة كون صفة العين هي دليل على اليقظة الموجبة إلى صيانة النفس وحفظها، وضبط الريح من الخروج، فإذا كان الإنسان نائمًا تعذَّر عن ضبط نفسه من خروج الريح[17]، وهذا الخروج يؤدِّي إلى نقض الوضوء، ويبدو أنَّ المراد هو تأكيد إبطال الوضوء بالنوم الذي لا يعلم الإنسان عمَّا خرج منه في أثناء نومه، كذلك يوحي بأنَّ الإنسان معذور ومسامح عمَّا يصدر منه حين ينام، وإنْ كان ما يبدر منه سببًا في حرجه واستحيائه.

وذكر أحد شراح نهج البلاغة تأويلًا، وإنْ كان يراه بعيدًا عن الواقع، على أنَّ مراده (عليه السلام) أنَّ العين إذا لم تُصَن وتضبط فذلك يجعلها تطمح إلى أشياء يحبُّها الإنسان ويميل إليها، مما يجعل النفس مشوقة إلى رؤية تلك الأشياء واتِّباعها لإشباع الرغبة منها[18]، وقد يبدو ذلك ممكنًا.

2- **السَّبَّة:** هي الإست[19] أو هي الدُّبر[20]، وقد وردت تلك المفردة من باب لطافة التعبير، تماشيًا مع الموقف الاجتماعي الحاصل في قوله (عليه السلام): ((**قَالُوا : أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ (عليهما السلام) إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فَكَلَّمَاهُ فِيهِ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالَا لَهُ: يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ (عليه السلام): أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! ...، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ**))[21]، نرى هنا أبلج اللطافة وأجملها، فهذا كلامه مع ولديه الحسن والحسين (عليهما أفضل الصلاة والسلام).

إنَّ كلام الإمام (عليه السلام) خُصَّ به مروان بن الحكم، لما وقع أسيرًا في معركة الجمل، وقوله: ((لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ))، والسبَّة هي الإست أو الدبر[22]، فهي بديلة عنهما، والغرض من ذكرها فيه احتمالان، الأوَّل مراد به الموضع؛ فسياق الكلام يرسم لنا شكل الغدر، فالكفُّ عضو ظاهريٌّ، والسبَّة عضو داخليٌّ، وغدر مروان هو غدر باطن خفيٌّ غير ظاهر، وبهذا يكون ذكر السبَّة هو تحقير مروان، وكناية عن الغدر الباطني[23]. والثاني هو ((كناية عن مخرج الإنسان))[24].

إنَّ الأثر الاجتماعيُّ المستشف منها أنَّها أكثر تأدُّبًا وحشمة من غيرها، وهي أقلُّ استعمالًا وصراحة، لهذا وظَّفها الإمام (عليه السلام) في كلامه مع الإمام الحسن والإمام الحسين(عليهما أفضل الصلاة والسلام)، زيادة على أنَّ تلك المفردة (السبة) نستجلي منها إهانة صاحبها، وإظهار الغلظة والغضب على أفعاله الشائنة، واستهزاء بصاحبها وتهكُّم به وبما يصدر منه، وإنْ عهد مروان عهدًا أو أبرم عقدًا، ولكنَّه مصرٌّ على صفة الغدر[25]؛ لكونها ظهرت حين بايع الإمام (عليه السلام) ثم نكث تلك البيعة فصف مع طلحة والزبير لمقاتلة الإمام حتى وقع أسيرًا[26]، فإنَّه إنْ وفى من صفحة، غدر وخان من صفحة أخرى[27]، فالاستفهام في قوله السابق: أولم يبايعني، هو استفهام خرج إلى غرض مجازي، وهو التقرير الذي أكَّد مبايعة مراون وغدره بالإمام(عليه السلام)، أي: بايعني ثم غدر بي[28].

إن مفردة (سَبَّة) سبقت بحرف الجرِّ (الباء) المفيدة للاستعانة والإلصاق[29]، ملقية ظلالًا إيحائيًّا إلى معنى الغدر الباطني، فمروان إنْ لم يغدر ظاهريًّا، فإنَّه يستعين بالغدر الباطني، فصفة الغدر ملاصقة وملازمة له، فسبق حرف الجرِّ (الباء) مفردتي(كفّه وسبَّته) أعطى معنًى إثبات صفة غدره ولصوقها به، فأصبحتْ ديدنه مع الإمام (عليه السلام).

3- **مُستقَرٌّ**: هو من الفعل (استقر)، فيقال: استقر فلانٌ في مكانه، أَيْ: ثبت وسكن[30]، وقد وردت تلك المفردة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[31]، فمستقر هي كناية عن الرحم[32].

ولبيان الأصل الاجتماعيّ الساميّ للأنبياء (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وردت تلك المفردة على سبيل لطافة التعبير في قوله (عليه السلام): ((**فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي**

خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ. تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلَفٌ))[33]، هنا وصف الإمام (عليه السلام) الأنبياء (عليهم السلام)، مبيّنًا أصلهم الطاهر العفيف، فقد انتقلوا من أصلاب شامخة وأرحام مطهَّرة شريفة، عن طريق مفردات جميلة لطيفة تناسب مكانتهم الطاهرة المطهرة العفيفة، فنلحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) عمد إلى الكناية لتحاشي المفردات الصريحة الحرجة البذيئة، فمفردة (مُسْتَوْدَعٍ) هي كناية عن أصلاب الرجال، ومفردة (مُسْتَقَرٍّ) هي كناية عن الرحم[34]، فلو ذكر (عليه السلام) الرحم صراحة؛ لخدش الحياء وأحدث الحرج، فالإمام هنا يتماشى مع طبيعة المجتمع العربيّ وعاداته، فقصد الذي لا يسبّب الخجل والحرج في مجتمعه، فتجنَّبه بأرقِّ المفردات، وأجملها، وأنبلها، فكان هذا هو البُعد الاجتماعيُّ المستشف من استعمال هاتين المفردتين على سبيل لطافة التعبير، علاوة على بيان الأصل الاجتماعيّ الشريف المطهر للأنبياء (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

فهاتان المفردتان أضيفتا إلى مفردتي (فخير وأفضل) وهما اسما تفضيل، بيَّنا ما ينماز به الأنبياء من زيادة تفضيل عن بقية خلق الله عن طريق بيان أصلهم الساميّ الرفيع النادر.

الملاحظ لنا وقوع السجع المتوازن بين مفردتي (مُسْتَوْدَعٍ، ومُسْتَقَرٍّ)، الذي يكشف عن إيحاء لمعنى يخصُّ نسبهم الشريف، فالنسق الفاصل بهاتين المفردتين له علاقة بمدلولهما، فالعين هو صوت يدلُّ على العلو والعظمة، ينسجم مع علوِّ استيداع الأنبياء وعظمتهم، فآباء الأنبياء وأمهاتهم لم يتدنس أحد منهم برذيلة الفجور، وهي الزنى، فالوعاء الذي يحمل النبيَّ طاهر مطهَّر، وأمَّا صوت الراء المكرَّر، فيدل على تكرار هذا الاستقرار لجميع الأنبياء وإكرامهم بهذا الأصل الشريف[35].

حقًّا أنَّ الإمام أخبر عن حقائق ثابتة ودائمة عن صفات الأنبياء (عليهم السلام)، وقعت وحصلت وانتهت، لهذا صدر كلامه بالفعل بالماضي (استقرَّهم واستودعهم) الذي أفاد هذا المعنى، وزاد من حتميَّة هذا الحصول والوقوع.

إنَّ الملحظ الاجتماعيَّ المتوخَّى من استعمال هاتين المفردتين على سبيل لطافة التعبير، قد تمثَّل بالكناية بهما عن مفردتي (الصلب والرحم)، تجنُّبًا للحرج الاجتماعيّ، وتأدُّبًا وحشمة وعفة،

زيادة على بيان الأصل الاجتماعيّ العفيف الطاهر لأنبياء الله ونسبهم(عليهم أفضل الصلاة والسلام).

إنَّ تنكير (مُسْتَوْدَعٍ، ومُسْتَقَرٍّ) أثبت أنَّ طهرهم الشريف لا يمكن حدُّه أو وصفه، أو الإحاطة به، فهو طُهر طاهر مطهَّر من كلِّ عيب ودنس، أصلًا ومكانًا، فلو ذكرها معرفة (المستقرّ والمستودع)، لكان الكلام محدَّدًا بواحد منهما.

ويتراءى للباحث أنَّ التصريح بهما لم يكشف دقَّة دلالة المفردتين، فلو قال: أفضل صلب، وخير رحم، لكان الكلام قاصرًا على بيان أفضل صلب وخير رحم، ولم تكن هناك إشارة إلى طهارة أصل موضع الانتقال من الصلب إلى الرحم، فالمستودع والمستقرُّ يدلَّان على الموضع المكانيّ الدقيق، فهما أخصُّ دلالة وأبلغُ، كما أنَّ هاتين المفردتين جاءتا على صيغة اسم المفعول، وهذا يدلُّ على أنَّ أصلهم الشريف، لم يكن باختيار والديهم، بل كان من اختيار الله (عزَّ وجلَّ) الذي استودعهم واستقرَّهم في تلك الأصلاب والأرحام الطاهرة.

4- **عاهر:** هو من الفعل (((عَهَرَ) الْعَيْنُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَدُلُّ عَلَى خَيْرٍ، وَهِيَ الْفُجُورُ... كُلُّ مَنْ طَلَبَ الشَّرَّ لَيْلًا مِنْ سَرِقٍ أَوْ زِنًى فَهُوَ عَاهِرٌ))[36]، والعاهر هو الزاني أو الفاسق، ويبدو أنَّ دلالة العاهر كانت تُطلق على مَن واقع الفجور ليلًا، ثم أصبحت تطلق على الزاني مطلقًا[37].

والإمام استعمل تلك المفردة، من باب لطافة التعبير، بدل مفردة (زانٍ)، لما بيَّن نسب رسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) الشريف، قائلًا: ((**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ**))[38]، استعمل الإمام (عليه السلام) الحشمة والتأدُّب والكياسة حين لم يذكر مفردة (زانٍ) صراحة، نائيًا عنها بمفردة (عاهر)[39].

يبيِّن الإمام (عليه السلام) حقيقة أصل نسب رسول الله الشريف، وطهارته من شوائب دنس الجاهلية، ونجاسة السفاح[40]، وهذه الحقيقة أكَّدها (عليه السلام) حين وصف الأنبياء قائلًا: ((فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ. تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ))[41]. ونلحظ أنَّ تلك المفردة سبقت بقوله: (لم يُسهم)، وحرف الجزم (لم) قد سبق الفعل، فأفاد معنى نفي

عدم وقوع حقيقة إسهام أيِّ العاهر أو شركه مطلقًا، ماضيًا وحاضرًا، سواء كان بأيِّ نصيب أم أيّ ذرة جلاء سوء[42]، ممَّا يثبت علو منزلتهم الاجتماعية على الناس.

أمَّا السجع بين مفردتي (عاهر وفاجر)، المنتهيين بحرف الراء المكرَّر، فقد ألقى ظلًا إيحائيًّا إلى تكرار حقيقة هذا النسب الشريف الطاهر لنبيِّ الرحمة (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وتأكيدها، فهو ((خير أهل الأرض طرًّا حسبًا ونسبًا، انتقل من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهرة. هذه هي عقيدة الإماميَّة في جميع الأنبياء دون استثناء))[43]؛ ولإبعاد حجَّة كلِّ مَن تسوّل له نفسه مساس طهر نسب الرسول بأيِّ شيء. ويبدو أنَّ المراد من ذكر هذا الكلام لم يكن اعتباطًا أو إثبات حقيقة النسب الطاهر، بل كان تعريضًا أو رمزًا بالطعن في أنساب جماعة من الناس، إذ يُقال: ((إنَّ آل سعد ابن أبي وقاص ليسوا من بني زهرة بن كلاب، وإنَّهم من بني عذرة من قحطان، وكما قالوا: إن آل الزبير بن العوام من أرض مصر من القبط، وليسوا من بني أسد بن عبد العزى))[44].

فالعاهر غير محدَّد بشخص معين وهو مطلق، لذا وقعت نكرة، مفيدة معنى الشمولية والعموم، مضيفة معنى عدم دنس هذا النسب العفيف بأيِّ عهر صغيرًا كان أم كبيرًا. وقوله: (لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ) هو ((كناية عن طهارته وطهارة آبائه وأمهاته من لوثات الجاهليَّة وعهرها، وقد ورد عنه صلوات الله عليه قوله: لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات))[45].

إنَّ الملحظ الاجتماعيَّ المستشفّ من هذه المفردة التي وردت من باب لطافة التعبير، هو اللياقة الاجتماعيَّة المتمثِّلة بالأدب والحشمة والعفة، فهي أقلُّ وطئًا وصراحة من مفردة (زانٍ) المحرجة، علاوة على أنَّها قد بيَّنت مع السياق المكانة الاجتماعيَّة المشرِّفة الخاصَّة بالنبيِّ محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وطهارة أصله الساميِّ الرفيع من أيِّ دنس صغيرًا كان أم كبيرًا، وأنَّها شكَّلت طعنًا غير مباشر بأنساب بعض الناس الذين قصدهم (عليه السلام)، ممَّا يوضِّح علوِّ أدب الإمام وخُلقه النادر.

القسم الثاني: التراكيب:

وردت تراكيب دلَّت على الجماع والعورة من باب لطافة التعبير، من أبرزها:

1- **ملامسة النساء**: الملامسة هي ((المماسة باليد))[46]، وقد استُعمل هذا التركيب الإضافيُّ على سبيل لطافة التعبير حين وضَّح (عليه السلام) صفات الله (عزَّ وجلَّ) من خطبة في توحيد الله، إذ قال (عليه السلام): ((**لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ**))[47] يُلاحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) قد نزَّه الله وجمَّله عن طريق إبعاد الصفات البشريَّة عنه، فالولادة وما يسبقها ويليها هي صفات حيوانيَّة، فورد التركيب الإضافيّ (ملامسة النساء) كناية عن الجماع[48]، وملامسة النساء هو تعبير ((يبعث هدوءًا واستقرارًا وإيناسًا في نفوس المخاطبين ومشاعرهم))[49]، أكثر من ذكر الجماع صراحة، وهذا ما يلائم ذكر الله (عزَّ وجلَّ) الذي تستريح إليه النفوس وتطمئن، إذ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[50].

وهذا التركيب هو قريب من قوله تعالى: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾[51]، وهذا التركيب يرسم لنا صورة الجماع بصورة ملامسة بين زوجين بينهما مودة ورحمة، وبمفردات تجذب المخاطب وتأنسه، للاستماع في سبيل بيان وحدانية الله، فقوله: (لم يلد...) هو مضمون ومقتبس من قوله تعالى: ((لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ))[52] وهذا يدلُّ على عمق التفاعل النصّيّ بين القرآن وكلامه (عليه السلام)، فالمفردات (لم يلد، ولم يولد، وملامسة النساء) دليل على هذا التفاعل، فكيف لا يكون ذلك وهو ربيب القرآن، وباب مدينة علم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم).

وقد جاء قبل هذا التركيب الفعل (طَهُرَ) على صيغة (فعُل) التي تستعمل في إثبات الصفات الخلقية فيما أسندت إليه[53]، التي واكبت المعنى الذي أراده الإمام وهو بيان صفات الله الثابتة الدائمة في تنزيهه عن الجماع والملامسة، مع أنه استعمل بعد الفعل الحرف (عن) المفيد للتبعيد والمجاوزة[54]، حتَّى يبين مؤكِّدًا تجاوز الله وبُعده عن تلك الملامسة التي تخصُّ الزوجين. وقد تمثَّل البُعد الاجتماعيُّ في هذا التركيب الذي جاء على سبيل لطافة التعبير، تعبيرًا عن الجماع، الذي هو أكثر تأدُّبًا وحشمة ورقَّة، علاوة على كونه أجمل وأنزه من التعبير المباشر، وهذا ما ينسجم مع تنزيه الله وتجميله.

2- **قرارات النساء**: القرار هو المستقرُّ والثابت والساكن من الأرض[55]، ورعاية للبُعد الاجتماعيّ المتجلَّى من استعمال هذا التركيب الإضافيُّ (قرارات النساء) في لطافة التعبير، ورد هذا التركيب لما قُتِل الخوارج، فقيل له: هلك القوم بأجمعهم، فقال (عليه السلام): ((**كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي**

أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ))[56] أجاب (عليه السلام) بأسلوب تأدُّبيٍّ، يبتعد عمَّا يخدش الحياء ويجرح الشعور، فأورد التركيب الإضافيَّ (قرارات النساء) كناية ((لطيفة عن الإرحام))[57].

إنَّ الزجر ب(كلا)، فالقسم بـ(والله) ثم مجيء (إنَّ) يؤكِّد حقيقة مستقبلية يخبرنا الإمام (عليه السلام) بها، وهي بقية الخوارج، فقوله: (أصلاب الرجال، وقرارات النساء)، هي مواضع بقية هؤلاء الخوارج، وإثبات بقائهم، فبقاؤهم فيه رأيان: الأوَّل: يُقال إنَّ هناك رجالًا لم يحظَ بهم الإمام حين استئصل الخوارج، وهؤلاء الرجال تفرَّقوا في الأرض، وهذا ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هؤلاء كانوا متزوجين ولهم أولاد، وكانت نساؤهم حبليات، بأولاد يسيرون سير آبائهم في اقتفاء آثارهم في الخروج على الإمام.

الثاني: قد يعني أنَّ هنالك أناسًا سيظهرون، ثم سيرون على نهجهم، ويقولون برأيهم، مقتفين آثارهم، ولكنَّهم موجودون الآن في ظهور الآباء وأرحام الأمهات.

نستشفّ من الرأيين، أنَّ هؤلاء لم يولدوا فهم موجودون بالأصلاب أو بالإرحام، وسيظهرون في المستقبل، والأصلاب والأرحام نستدلُّ بهما على مكانهم، فالإمام كان دقيقًا في وصف حالهم، وقوله: ((حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ))، فتصديره بحرف النصب(حتَّى) يوضِّح نهايتهم، ولكنَّها نهاية دنيئة حقيرة مبتذلة[58].

كما أنَّ قوله: كلما نجم منهم...، يشير إلى تكرار استئصالهم واستمراره خاصة البارزين منهم، وهذا نستمدُّه من معنى (كلَّما) الشرطيَّة[59].

إنَّ الملحظ الاجتماعيَّ المستشف من ورود هذا التركيب على جهة لطافة التعبير، هو أنَّ هذا التركيب أكثر تأدُّبًا وعفة ولياقة اجتماعيَّة من التصريح المباشر، زيادة على بيان قضية اجتماعية قد تؤدِّي إلى بثِّ الشرور والفساد في المجتمع، عن طريق وجود هؤلاء الشرذمة بين الناس، فالواجب القضاء عليهم؛ لتخليص المجتمع من شرورهم ومفاسدهم.

3- **يلامِس:** هو فعل مضارع ماضيه (لامس)، واللمس هو الجسُّ باليد خاصَّة، وقد يأتي مجازًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾[60] فلامستم هي كناية عن الجماع[61].

ورعاية للذوق الاجتماعيّ السامي قد استُعمل هذا التركيب الفعليّ من باب لطافة التعبير، إشارة إلى الجماع، إذ ((**رُوِيَ أَنَّهُ (عليه السلام) كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَمَرَّتْ بِهِمُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ (عليه السلام): إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ**))[62]، فنلحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) ضمَّن كلامه الاستعارة، لما استعار الفحول للقوم، والهباب، وهو هيجان الفحل للجماع؛ لطلبهم للنكاح[63]، وهذه لطافة قصد بها التعبير عن طلب هؤلاء للجماع، بعيدًا عن الذكر مباشرة.

نلحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) استعمل (إذا) في اشتراط النظر إلى امرأة تعجب الناظر في المستقبل، بملامسة الناظر لزوجه، ولم يستعمل غيرها من الأدوات؛ لكون النظر إلى المرأة ممكن وقوعه وحصوله، أي متحقَّق الوقوع بأيِّ وقت، لذا كانت (إذا) هي الأنسب لذلك، وفي ذلك تستعمل[64]. كذلك نجد أنَّ استعمالها مع فعلها وجوابها فيه نصيحة لهؤلاء، وهذا خير لهم، من هنا نستشف أنَّ (إذا) تستعمل في الخير، ولما فيه صلاح للخلق ونجاته[65].

إنَّ فعل الإنسان لجواب الشرط (يلامس أهله)، يجعل النظر إليها شيئًا عاديًا، ليس فيه هيجان شهوته وتفجرها، لذا علَّلها قائلًا: ((فإنما...)) لتصبح حالها كحال رؤيته لأيِّ امرأة، جميلة كانت أم قبيحة. كذلك نجد سبق الفعل المضارع (يلامس) بلام الأمر، ولم يستعمل الإمام(عليه السلام) فعل الأمر؛ لأنَّ صيغة المضارع المقترن باللام الأمر أشدُّ وأبلغ وأقوى من صيغة فعل الأمر، علاوة على أنَّ فيها نوعًا من الرقَّة واللطف واللين ليس في غيرها، ممَّا يصيرها قريبة من الرجاء والالتماس، ويجعلها أكثر ملاءمة للاستعمال في معاني التلطُّف وتقديم النصيحة والإرشاد[66]، وهذا ما يوافق مراده (عليه السلام) الذي غايته تقديم فيه النصيحة والإرشاد لهؤلاء القوم، علاوة على زيادة الفعل (يلامس) تلطُّفًا أكثر من تلطُّفه، ممَّا زاد الذوق الاجتماعيَّ رفعة وعلوًّا وأدبًا وحشمة.

نلمسّ في هذا التركيب (يلامس) الرقَّة والحنان، اللتين تحاكيان نفس المخاطبين، مداعبتان مخيلته لتصور ما في هذه العملية من لحظات بكلِّ ما فيها من الجمال وعمق الإحساس النفسيّ[67]، وهذا التركيب يعانق ما جاء في كتاب الله في قوله: ﴿لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾[68]، فالكناية

عن الجماع بـ(ليلامس) هي ((من الآداب العجيبة والكنايات الرشيقة التي استعملها الله تعالى في كتابه الكريم تأديبًا للخلق، وحملًا لهم على أحمدِ الشيم وأعلاها))[69].

وورود الفعل (يلامس) على صيغة (فاعل) الدالة على المشاركة[70]، دلَّ على مشاركة الجسديَّة والروحيَّة لكلا الزوجين في فعل الجماع؛ لأنَّ الجماع الفعليَّ لا يتم إلَّا بشخصين، فأصوات (يلامس) المكونة من (اللام والميم) المتوسطتين بين الشدّة والرخاوة، صوتي الرخاوة (الألف والسين)، مع اتِّصاف جميع تلك الأصوات بالانخفاض[71]، أعطت تصورًا إيحائيًا عن تلك الملامسة بين الزوجين، التي ليس فيها شدَّة، واستعلاء أحد الزوجين على الآخر، بل هي ملامسة مصحوبة بإحساس الرقة والعطف والحنان والرحمة بين الزوجين[72]، وهذا ما أكَّده الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[73] وهذا إحساس يستجلي منه الانسجام بينهما، وبيان العلاقة الاجتماعيَّة الدقيقة الحميمة الأشدِّ قربة بين الزوجين. إنَّ الإمام (عليه السلام) كنَّى عن الجماع بهذا التركيب الجميل لطافة؛ لما فيه من حشمة وحياء، متبعًا الذوق الاجتماعيَّ الذي يرفض التصريح بالجماع وفعله صراحة، وبهذا يكون (عليه السلام) قد صنع ذلك، إضافة إلى زيادته لطفًا على لطف عن طريق لام الأمر التي سبقت الفعل.

إنَّ مجيء (يلامس) فعلًا مضارعًا، ألقى ظلالًا إيحائيًّا إلى أنَّ المداومة والاستمرار على مجامعة الزوج للزوجته، يطفيء الشهوة ويسكنها، ممَّا يبعد الزوج عن النظر بشهوة إلى النساء الأخيريات، ويغدو النظر إليها شيئًا طبيعيًا، ولعلَّ هذا ما أراد الوصول إليه.

ثم نلحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) قد زاد من لطافة التعبير حين قال: (يلامس أهله)، ولم يقل: (يلامس زوجه أو زوجته)، ممَّا جعل هذا التركيب أكثر لطافة من تعبير (يلامس زوجته). إنَّ البعد الاجتماعيَّ المستشف من استعمال ذلك التركيب هو سلوك التأدُّب والحشمة والكياسة والعفة عن التصريح بالجماع مباشرة، كما أنَّ هذا التركيب هو أبلغ دلالة على بيان العلاقة الاجتماعيَّة الجميلة الرقيقة المفعمة بالإحساس بين الزوجين.

4- **أطوفُ:** هو فعل مضارع من الفعل (طاف)، إذ يُقال: طاف فلانٌ حول الكعبة، أي: دار حولها أو حام، فالطوْف هو الدوران حول الشيء أو الحوم حوله[74].

ولكنَّ الإمام (عليه السلام) وظَّف هذا التركيب الفعليَّ في لطافة التعبير، قاصدًا به الجماع، في قوله (عليه السلام): ((**وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي – اللَّائِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ– لَهَا وَلَدٌ، أَوْ هِيَ حَامِلٌ، فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ**))[75]. إنَّ هذا الكلام من وصية له (عليه السلام) لابنه الحسن(عليه السلام)، فإنْ حدث شيء للحسن، يقوم بتنفيذها الحسين(عليه السلام)، وهنا يوصي على صدقاته التي أنشأها بيده، وقوله: ((أطوف عليهن)) هو((كناية لطيفة عن غشيان النساء))[76]، وهذا يكشف حالة التعامل الجميلة بينه وبين ولديه، كما أنَّ التركيب الفعليَّ (أطوف عليهن) قد يستجلي منه دلالة موحية، من المعنى اللغويّ ومعنى الفعل، فالطواف هو الدوران حول الشيء، وهذا الدوران يستشف منه الاستمرار والمواظبة على الشيء، زيادة على إكمال الطواف حول الدائرة.

وأمَّا التعبير بالفعل المضارع، فيستشف منه التجدُّد والاستمرار، ومراده أنَّ إعطاء الصدقات لهن تكون بالمواظبة والدوران المستمرّ، لإيفاء حقوقهن المشروعة، فكأنَّما يريد (عليه السلام) التركيز على مداومة الطواف واستمراره وتأكيده؛ كي لا تقطع حقوقهن، لهذا نجده (عليه السلام) قد أوصى الإمام الحسن(عليه السلام) ثم عقد الوصية للحسين(عليه السلام).

تلا الفعل (أطوف) حرف الجرّ (على) الدالّ على الاستعلاء[77]؛ ليعكس لنا صدًى إيحائيًا إلى استعلائية الإمام(عليه السلام) ومسؤوليته؛ لكونه قوامًا على تلك النساء، ومسؤولًا عليهم، وهذا ما يواكب ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[78]، فيكون الإمام (عليه السلام) قد أدَّى تلك المسؤولية على أتم وجه.

إنَّ البُعد الاجتماعيَّ المراد من استعمال هذا التركيب الفعليّ على سبيل لطافة التعبير، هو بيان الفارق الاجتماعيّ المتمركز في الرجل، وهو أنَّه القوَّام المسؤول على الإنفاق على الزوجة، علاوة على أنَّ هذا التركيب يعطينا درسًا في كيفية التعامل الاجتماعيّ مع الأبناء، الذي يستجلي منه سلوك طريق الحشمة والتأدُّب والكياسة في اختيار المفردات اللطيفة الأكثر حشمة وعفّة من غيرها، حتَّى يعطي التعامل ثماره الدنية.

5- **يفضي**: هو فعل مضارع ماضيه (أفضى)، فيقال: أفضى فلان إلى فلان، أي: وصل إليه، وصار في ساحته[79].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) ذلك التركيب الفعليَّ لطافة في التعبير عن الجماع في قوله: ((**وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ، الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ... يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمُلَاقَحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ**))[80] فقوله: يفضي...يؤر، كلاهما كناية عن الجماع، وملاقحة كناية عن أعضاء التناسل[81].

ويبدو للباحث أنَّ الإمام (عليه السلام) قصد بتركيب (يفضي) توضيح نزو الفحل على الأنثى، كنزو الديك ووثوبه على الدجاجة.

وأراد بتركيب (يؤرُّ) بيان جماعه ولهفته إليه، كأرِّ الفحول ذات الشفق والغلمة، فالأرُّ هو مفعول مطلق بيَّن نوع ذلك الأرّ لتأكيده وبيانه وتوضيحه[82].

ويلاحظ أنَّ التركيب جاء على صيغة المضارع المفيد التجدُّد والاستمرار، ثم أعقبه بتشبيه (كإفضاء...) وتبع (يؤرُّ) بمفعول مطلق؛ ليؤكِّد شبه جماع الطاووس المستمرّ والمداوم كشبه جماع الديكة لا شبه غيره من الحيوانات، من جهة لهفته وشفقه للجماع، ومن جهة هيأة وثوبه على الأنثى.

إنَّ الملحظ الاجتماعيَّ المستشف من استعمال هذا التركيب على سبيل لطافة التعبير، قد تركَّز في كون الإمام قد تماشى مع الابتعاد عمَّا يسلب الحياء، ويجلب الحرج عند المخاطبين؛ لأنَّ هذا الكلام من خطبة، وضَّح(عليه السلام) فيه أعاجيب خلق الطاووس، والإمام (عليه السلام) كشف حقائق علميَّة في خلق ذلك المخلوق، وقصده إفادة المخاطبين من تلك الحقائق، زيادة على بيان بديع خلق الله وجماله، لذا عمد إلى الكناية لإخفاء المفردات، وسلوك الذوق الاجتماعيّ الرفيع؛ لكون الموضوع متعلّق بقضايا الجماع، فأصبحت الكناية هنا هي ((ضرورة تعبيرية، للتعبير عمَّا لا يراد إظهاره للناس كرهًا لنبوه عن الذوق، أو لما فيه من كشف عن غير مستحب كشفه، أو محاولة للتأنق والإغراب في التعبير))[83].

6- **(قرار مكين)**: القرار يطلق على ((المستقرّ من الأرض))[84]، وهو من الفعل (قرَّ يقُرُّ)، إذ يقال: فلان قرَّ في المكان، أي سكن وثبت. وقد جاءت تلك المفردة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[85]، بمعنى المكان الْمُطْمَئِنّ المستقِرّ الذي يثبت فيه

الماء[86]. أمَّا مكين فيُقال: زيدٌ مكين عند أحمدَ، أي: بيّن المكانة أو ذو منزلة، وهو الموضع والمحلُّ[87].

وقد استعمل الإمام ذلك التركيب الوصفيَّ النقي من جهة لطافة التعبير، حين بيَّن بداية خلق الإنسان، إذ قال(عليه السلام): ((**أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ،... بُدِئْتَ ﴿مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ وَوُضِعْتَ ﴿فِي قَرارٍ مَكِينٍ إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ**))[88]، إنَّ الإمام (عليه السلام) اقتبس قوله تعالى؛ ليوضِّح بداية خلق البشريَّة ويؤكِّده، فحين نتمعَّن الكلام نجد أنَّ الفعل (بُدئت) عائد على أبي البشرية، وهو النبيُّ آدم (عليه السلام)، أما كلام (ووضِعت) فعائد إلى ذريته، لهذا قال ابن أبي الحديد: ((ووضعت في (قرار مكين) الكلام الأوَّل لآدم الذى هو أصل البشر، والثاني لذريته، والقرار المكين: الرحم متمكنة في موضعها برباطاتها؛ لأنَّها لو كانت متحركة لتعذر العلوق))[89]، فقد سبق هذا التركيب النعتي الحرف (في) الذي من معانيه الظرفيَّة[90]، ليدلَّ على مكان وضع الإنسان حين ينتقل من صلب الرجل، وهو الاستقرار في رحم المرأة، حتَّى يحين وقت خروجه، فحرف الجرِّ (إلى) المستعمل لانتهاء الغاية[91]، أفاد معنى انتهاء استقرار الإنسان في رحم المرأة قبل مجيئه إلى الدنيا.

إنَّ الإمام (عليه السلام) استعمل فنًا بلاغيًا من فنون علم البديع، وهو المُحسِن المعنوي (الاستخدام) الذي يعني ((ذكر لفظ مشترك بين معنيين، يُراد به أحدهما، ثم يُعاد عليه ضمير، أو إشارة بمعناه الآخر، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غير ما يُراد بأولهما))[92]، وهذا المحسِن المعنويُّ يزيّن المعنى ويجمّله، ويجعل المخاطب أكثر تركيزًا وانتباهًا وإدراكًا، إلى الكلام المقال.

سبق التركيب الوصفيَّ الفعل الماضي المبنيّ للمجهول (وُضعت)، الذي ألقى ظلالًا إيحائيًّا إلى أنَّ الإنسان لم يكن له دخلٌ في وضعه في بطن أمِّه، ممَّا إشار إلى تصغيره وتحقيره، وأنَّ الواضع واضح جليٌّ لا يمكن نكرانه، وهو الله سبحانه وتعالى، فحُذف الواضع لعظمته وللعلم به.

إنَّ البُعد الاجتماعيَّ المستشف من استعمال هذا التركيب، قد تركَّز بوروده رعاية للذوق الاجتماعيّ الذي يأبى التصريح بما يسلب الحياء ويجرح الشعور، فكان أكثر تأنقًا وجمالًا وتأدُّبًا، زيادة على بيان بداية الأصل الاجتماعيّ التكويني الإنسانيّ.

الخاتمة:

بيَّنت تلك الدراسة أبرز المفردات والتراكيب اللاتي عبَّرت عن الجماع والعورة على سبيل لطافة التعبير، وهذه المفردات والتراكيب كانت أقلَّ صراحة وأبلغ دلالة، وأكثر إيضاحًا وبيانًا على المطلوب، وقد نأى (عليه السلام) بها عمَّا يُسبِّب الحرج، ويزيل الحياء، ويجرح الشعور، فكانت تلك التراكيب أكثر حشمة وعفة وحياء، وقد تماشى (عليه السلام) فيها مع الذوق الاجتماعيّ المعبِّر عن أدب المخاطِب (عليه السلام) وخُلقه الرفيع في أثناء كلامه مع الآخرين، زيادة على تحليلها دلاليًّا؛ للكشف عن ملمحها الدلاليّ المنماز مع بيان بُعدها الاجتماعيّ.

الهوامش:

(1) الخصائص: 33/1.

(2) ينظر: أساليب التلطُّف في اللغة العربيَّة (رسالة ماجستير): 10.

(3) ينظر: المحظورات اللغويَّة في الخطاب الإسلاميّ (رسالة ماجستير): 42.

(4) ينظر: التلطُّف في خطاب الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) في القرآن الكريم (دراسة تركيبيّة دلاليّة)، رسالة ماجستير: 37-39-40.

(5) ينظر: ظاهرة التلطُّف في اللغة العربيَّة والكرديَّة (عبارات الموت أنموذجًا)، (بحث منشور): 203.

(6) ينظر: التلطُّف في لغة القرآن الكريم (رسالة ماجستير): من58 إلى 69.

(7) ينظر: المحرَّم اللغويّ في ضوء الثقافة العربيَّة: 98-103.

(8) القاموس المحيط مادَّة (الستة): 1246.

(9) ينظر: لسان العرب مادَّة (ستة): 495/13-496، وتاج العروس مادَّة (ستة): 392/36-393-394.

(10) نهج البلاغة حكمة (448): 808/2.

(11) ينظر: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: : 628.

(12) ينظر: لسان العرب مادَّة (ستة): 495/13-496، وتاج العروس مادَّة (ستة): 392/36-393-394.

(13) ينظر: الديباج الوضي: م3077/6.

(14) ينظر: سرّ صناعة الإعراب: 75/1.

(15) المقتضب: 233/1.

(16) في ظلال نهج البلاغة: 499/6.

(17) ينظر: منهاج البراعة: م296/22.

(18) ينظر: الديباج الوضي: م3078/6.

(19) ينظر: الصحاح مادَّة (سبب): 144/1-145.

(20) ينظر: تهذيب اللغة مادَّة (سبَّ): 219/12.

(21) نهج البلاغة من كلام (72): 171/1-172.

(22) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: 147/6، ونفحات الولاية: 121/3.

(23) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: 102/2.

(24) ينظر: نفحات الولاية: 121/3.

(25) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: 147/6.

(26) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: 102/2.

(27) ينظر: الديباج الوضي: 542/2-543.

(28) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: 146/6.

(29) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني: 143.

(30) ينظر: لسان العرب مادَّة (قرر): 84/5-85، وتاج العروس مادَّة (قرر): 392/13.

(31) سورة الأنعام: الآية (98).

(32) ينظر: تهذيب اللغة مادَّة (ودع): 90/3، وتاج العروس مادَّة (قرر): 394/13، ومادَّة (ودع): 309/22.

(33) نهج البلاغة من خطبة (93): 229/1.

(34) ينظر: نفحات الولاية: 159/4-160.

(35) ينظر: الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة: 139-140.

(36) معجم مقاييس اللغة مادَّة (عهر): 170/4-171.

(37) ينظر: لسان العرب مادَّة (عهر): 611/4-612.

(38) نهج البلاغة من خطبة (214): 505/2.
(39) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: 410/4- 412.
(40) منهاج البراعة: م91/14.
(41) نهج البلاغة من خطبة (93): 229/1.
(42) ينظر: شرح البحرانيّ: 30/4.
(43) في ظلال نهج البلاغة: 412/4.
(44) شرح ابن أبي الحديد: 67/11-68.
(45) شرح الموسويّ: 485/3.
(46) تاج العروس مادَّة (لمس): 487/16.
(47) نهج البلاغة من خطبة (186): 422/1.
(48) ينظر: شرح الموسويّ: 237/3.
(49) التلطُّف في التعبير في الخطاب القرآنيّ(رسالة ماجستير): 21.
(50) سورة الرعد: الآية: 28.
(51) سورة المائدة من الآية: 6.
(52) سورة الإخلاص: الآية: 3.
(53) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته: 30.
(54) ينظر: المفصل في علم العربيَّة: 374.
(55) ينظر: العين مادَّة (قر): 21/5، ولسان العرب مادَّة (قرر): 85/5-86.
(56) نهج البلاغة كلام (59): 158-159.
(57) شرح ابن أبي الحديد: 14/5.
(58) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: 14/5.
(59) ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: م806/2.
(60) سورة النساء من الآية: 43.
(61) تاج العروس مادَّة (لمس): 484/16-485-487-488.
(62) نهج البلاغة من حكمة (404): 800/2.
(63) ينظر: من بلاغة الإمام عليّ (عليه السلام) في نهج البلاغة: 624.
(64) ينظر: خصائص التراكيب: 322، والتضاد في القرآن الكريم: 89-90.
(65) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: 338.
(66) ينظر: نحو الفعل:58- 59.
(67) ينظر: التلطُّف في التعبير في الخطاب القرآنيّ: 21.
(68) سورة المائدة: من الآية: 6.
(69) الديباج الوضيُّ: م3039/6.
(70) ينظر: الكتاب:68/4، وأدب الكاتب:358، وشرح المفصل:458/7.
(71) ينظر: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم: 123.
(72) ينظر: الفروق اللغويَّة: 468، وقراءات في النظم القرآنيّ: 97.

(73) سورة الروم: الآية: 21.

(74) ينظر: الصحاح مادَّة (طوف): 1396/4- 1397، ومعجم مقاييس اللغة مادَّة (طوف): 432/3-433، ولسان العرب مادَّة (طوف): 225/9-226.

(75) نهج البلاغة من وصية (24): 576/2.

(76) شرح ابن أبي الحديد: 149/15.

(77) ينظر: المقتضب: 46/1، والمفصّل في علم العربية:373.

(78) سورة النساء: من الآية: 34.

(79) ينظر: العين مادَّة (فضا): 64/7، والصحاح مادَّة (فضا): 2455/6.

(80) نهج البلاغة من خطبة (165): 369/1.

(81) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: 268/9-269.

(82) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: 269/9.

(83) أثر القرآن في تطور النقد العربي: 55.

(84) العين مادَّة (قر): 21/5، والصحاح مادَّة (قرر): 788/2.

(85) سورة المؤمنون: الآية: 50.

(86) ينظر: لسان العرب مادَّة (قرر): 85/5-86.

(87) ينظر: الصحاح مادَّة (كون): 2191/6، ولسان العرب مادَّة (مكن): 212/13.

(88) نهج البلاغة من خطبة (163): 364/1-365.

(89) شرح ابن أبي الحديد: 258/9.

(90) ينظر: حروف المعاني: 12.

(91) ينظر: معاني الحروف: 158.

(92) جواهر البلاغة: 389.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الانسجام الصوتيُّ في خطب نهج البلاغة: د.ظافر عبيس الجياشيّ، الدار المنهجيّة للنشر والتوزيع في عمان، ط1، 2016م.
- أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري: د. محمَّد زغلول سلام، قدم له الأستاذ محمَّد خلف الله، الناشر مكتبة الشباب بالمنيرة، ط1، د.ت.

- أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت276هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية بمصر، ط4، 1963م.
- البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني: فضل حسن عبَّاس، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع فرع إربد مقابل جامعة اليرموك، ط4، 1994م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيديّ (ت1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- التضاد في القرآن الكريم: محمَّد نور الدين المنجد، دار الفكر في دمشق –سوريا، د.ط، 1999م.
- تهذيب اللغة: محمّد بن أحمد بن الأزهري (ت370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر دار إحياء التراث العربي في بيروت، ط، 2001م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشميّ، تحقيق: محمَّد التونجي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت– لبنان، ط4، 2008م.
- حروف المعاني والصفات: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت337هـ)، مؤسسة الرسالة ببيروت، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط1، 1984م.
- الخصائص: ابن جني(ت392هـ)، تحقيق: محمَّد علي النجار، دار الكتب المصريَّة، المكتبة العلميَّة، د.ط، د.ت.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د.محمَّد محمَّد أبو موسى، الناشر مكتبة وهبة في القاهرة، ط4، 1996م.
- الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصيّ: يحيى بن حمزة بن عليّ الحسينيّ(ت749هـ)، تحقيق: خالد بن قاسم بن محمَّد، إشراف الأستاذ عبد السلام بن عبَّاس الوجيّه، مؤسسة الإمام زيد بن عليّ الثقافيّة في صنعاء– اليمن، ط1، 2003م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي (ت702هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، د.ط، د.ت.
- سرّ صناعة الإعراب: عثمان بن جني الموصليّ (ت392هـ)، دار الكتب العلميَّة بيروت– لبنان، ط1، 2000م.
- شرح المفصَّل: أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش(ت643هـ)، تحقيق وضبط وإخراج: أحمد السيد أحمد، راجعه ووضع فهارسه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية بالقاهرة، د.ط، د.ت.
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت656هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، د.ط، د.ت.
- شرح نهج البلاغة: ميثم بن عليّ البحرانيّ (ت679هـ)، منشورات دار الثقلين في بيروت – لبنان، ط1، 1999م.
- شرح نهج البلاغة: عبّاس علي الموسويّ، دار الرسول الأكرم طباعة–نشر–توزيع في بيروت –لبنان، ط1، 1998م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: الجوهري (ت393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين في بيروت، ط4، 1987م.

- الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم: أ.د. محمَّد فريد عبد الله، دار ومكتبة هلال للطباعة والنشر في بيروت، ط1، 2008م.
- العين: الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ و د.إبراهيم السامرائيّ، دار الهلال ومكتبته، د.ط، د.ت.
- الفروق اللغويَّة: أبو هلال العسكري (ت395هـ)، تحقيق: محمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة في مصر، د.ط، د.ت.
- الفعل زمانه وأبنيته: د.إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط2، 1980م.
- في ظلال نهج البلاغة (محاولة لفهم جديد): الشيخ محمَّد جواد مغنية، وثَّق أصوله وحققه وعلّق عليه: سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلاميّ، ط1، 2005م.
- قراءات في النظم القرآنيّ: د.عبد الواحد المنصوري، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت، ط1، 2014م.
- كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1988م.
- لسان العرب: ابن منظور (ت711هـ)، دار صادر في بيروت، ط3، 1414هـ.
- المحرّم اللغوي في ضوء الثقافة العربية: محمَّد كشاش، المكتبة العصرية في بيروت، ط1، 2005م.
- معاني الحروف: علي بن عيسى الرمانيّ (ت384هـ)، تحقيق: الشيخ عرفان بن سليم، المكتبة العصرية ببيروت، د.ط، د.ت.
- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات: محمّد حسن الشريف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م.
- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (ت395هـ)، تحقيق عبد السلام محمَّد هارون، الناشر دار الفكر، د.ط، 1979م.
- المفصَّل في علم العربيَّة: الزمخشري، تحقيق: سعيد محمود عقيل، دار الجيل في بيروت، ط1، 2003م.
- المقتضب: محمَّد بن يزيد المبرد (ت285هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب ببيروت، د.ط، د.ت.
- من بلاغة الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة وشرح لهم الصور البلاغية: عادل حسن الأسدي، مؤسسة المحبين في قم، ط1، 2006م.
- نحو الفعل: د.أحمد عبد الستار الجواري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، د.ط، 2006م.
- نفحات الولاية (شرح عصريّ جامع لنهج البلاغة): سماحة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، إعداد: عبد الرحيم الحمرانيّ، مطبعة سليمانزاده، ناشر مدرسة الإمام عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) في قم، ط1، د.ت.
- نهج البلاغة، تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار، الناشر العتبة العلويّة المقدّسة، قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّ، شعبة إحياء التراث والتحقيق، ط2، 2019م.

- **البحوث المنشورة:**
- ظاهرة التلطُّف في اللغة العربيَّة والكرديَّة (عبارات الموت أنموذجًا)، (بحث منشور): م.م.نهلة حسين طه وم.م. سروة فيصل عزيز، مجلَّة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيَّات والاجتماع، ع34، 2019م.

- الرسائل والأطاريح:
- أساليب التلطُّف في اللغة العربيَّة (رسالة ماجستير): شيرين بسام فرحان، كليَّة اللغويَّات، الجامعة الهاشميَّة في الأردن، 2013م.
- التلطُّف في التعبير في الخطاب القرآنيّ (رسالة ماجستير): عقيل عبد السلام مقدّم، جامعة البصرة، كليَّة التربية، 2012م.
- التلطُّف في خطاب الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) في القرآن الكريم (دراسة تركيبيّة دلاليّة)، رسالة ماجستير، إيمان عبد الرحمن العبد الرحمن، جامعة الهاشميّة في الأردن، 2016م.
- التلطُّف في لغة القرآن الكريم (رسالة ماجستير): أحمد محمَّد فليّح، كليَّة الآداب والعلوم الإسلاميَّة، جامعة آل البيت، 2011م.
- المحظورات اللغويَّة في الخطاب الإسلاميّ (رسالة ماجستير): أحمد محمود السيد، كليَّة الآداب، جامعة الإسكندريَّة، 2001م.